

رسالة كريم يونس

"ها أنا أوشك ان اغادر زنزانتي المظلمة التي تعلمتُ فيها ان لا أخشى الظلام، وفيها تعلمتُ ان لا اشعرَ بالغرابة او بالوحدة لأنني بين اخوتي اخوة القيد والمعاناة، اخوة جمعنا قسمٌ واحد وعهدٌ واحد،

اغادر زنزانتي ولطالما تمنيتُ ان اغادرها منتزعا حريتي برفقة اخوة الدرب ورفاق النضال، متخيلا استقبالَ يعبر عن نصرٍ وانجازٍ كبير، لكنني اجد نفسي غير راغبٍ احاول ان اتجنب اللام الفراق ومعاناة لحظات الوداع لإخوة ظننتُ اني ساكمل العمرَ بصحبتهم وهم حتما ثوابتُ في حياتي كالجبال ولكلما اقتربت ساعت خروجي اشعر بالخيبة وبالعجز خصوصا حين انظر في عيون احدهم وبعضهم قد تجاوز الثلاثة عقود،

ساترك زنزانتي واغادر لكن روحي باقيةً مع هؤلاء القابضينَ على الجمر المحافظين على جذوة النضال الفلسطيني برمته مع هؤلاء الذين لم ولن ينكسروا لكن سنوات اعمارهم تنزلق من تحتهم ومن فوقهم ومن امامهم ومن خلفهم وهم لا زالوا يطمحون بان يروا شمس الحرية لما تبقى من اعمارهم وقبل ان تصاب رغبتهم بالحياة بالتكلف والانحدار،

ساترك زنزانتي والافكار فجأة تنزاحم وتتراقص على عتبة ذهني وتشوشُ عقلي فأتساءل محتارا على غير عادتي الى متى يستطيع الاسير ان يحمل جثته على ظهره ويتابع حياته والموت يمشي معه وكيف لهذه المعاناة والموت البطيء ان يبقى قدره الى امدٍ لا ينتهي في ظل مستقبلٍ مجهول وافق مسدود وقلقٌ يزداد مما نشاهدُ ونرى من تخاذلٍ وعدم اكتراث امام استكلاب عصاباتٍ تملك دولة تكبر وتتوحش وتزداد توحشا وهي تستقوي على فريسة عجفاء هزيلة لها ساق واحدة ويد واحدة ونصف راس، تكاد لا ترى ولا تسمع، مع ذلك تُنهش كل يوم دون ان تشعر ان جروحها قد لا تندمل وان لا امل لها بحياء هادئة ومستقرة.

ساترك زنزانتي وانا مدركٌ بأن سفينتنا تتلاطمها الامواج الدولية من كل صوبٍ وحذب والعواصف الاقليمية تعصف بها من الشرق والغرب والزلازل محلية وبراكين عدوانية تكاد تبتلعها وهي تبتعد وتبتعد عن شاطئٍ حاول قبطانها ان يرسو اليه قبل أكثر من ربع قرن.

ساترك زنزانتي مؤكداً اننا كنا ولا زلنا فخورونَ باهلنا وبأبناء شعبنا ايما كانوا في الوطن والشتات الذين احتضنونا واحتضنوا قضيتنا على مر كل تلك السنين وكانوا اوفياء لقضيتنا ولقضية شعبنا الامر الذي يبعثُ فينا دائما املاً متجددا ويقينا راسخا بعدالة قضيتنا وصدق انتماءنا وجدوى وجوهر نضالنا.

ساترك زنزانتي رافعا قبعتي لجيل لا شك انه لا يشبه جيلي جيل من الشباب الناشط والناشطات الذين يتصدرون المشهد فالسنوات الأخيرة جيل من الواضح انهم أقوى وأجرى وأشجع والاجدر لاستلام الراية كيف لا وهم المطلعين على الحكاية والحافظين لكل الرواية والحريصين على تنفيذ الوصايا، وصايا شعبنا المشتت المشرد بانتزاع حقه بالعودة وتقرير المصير فطوبى لهذا الجيل الصاعد برغم أجواء التهافت.

ساترك زنزانتي بعد ايام قليلة والرغبة تجتاحني باقتراب عالم لا يشبه عالمي وها انا اقترب من لحظة لا بد لي فيها الا وان امر على قديم جروحي وقديم ذكرياتي لحظة استطيع فيها ان ابتسم في وجه صورتي القديمة دون ان اشعر بالندم او بالخذلان ودون ان اضطر لان ابرهن البديهي الذي عشتُه وعاشتته على مدار اربعين عاما علني استطيع ان أتأقلم مع مرآتي الجديدة وانا عائد لانشد مع ابناء شعبي في كل مكان نشيد بلادي نشيد الفدائ. نشيد العودة والتحرير."